ذلك لم يصغ بسمعه الى نصائح مكسيم الإغريقي فقـرروا عنـد ذلك إثارة الخوف في نفسه ولكن بدون نجاح . فيروى أن الكسي أرداتشيف حمل فعلاً الى القيصر رسالة بعد أن ترك زنزانة الناسك تتضمن نبوءة بأنه اذا أصر على القيام بالحج الى الشمال فانه لن يعود بولي العهـد ديمتري حيا من هناك .

ومن المحتمل أن مثل هذه النبوءة لم تقدم بمثل هذا الوضوح بل صار الناس يتذكرون بعد الحادث المشؤوم بعض التحذيرات الغامضة التي ظهرت قبل السفر عن الأخطار التي يمكن أن تتهدد صحة الغـلام فتذكروها كنبوءة كتب لها التحقيق عندما كان الناس يطلبون إشارات من الله . اما ما وقع فهو أن إيفان انتظر في موسكو الاحتفال بأعياد الفصح ثم ارتحل لحظة ذوبان الجليد مع أخيه يوري وزوجته وولده ديمتري وقد جرت الرحلة أساسا في المركب على نهر أوغليتس نحو الشمال حتى التقاء تشيكسنا بالڤولغا الأعلى ومن هناك صعدوا في التشيكسنا لمسافة مائة وستين كيلو مترا عبر بلاد كئيبة موحشة حتى وصلوا الى ديـر كيريلوف ، وفي خلال هذه الرحلة مات ولي العهد الصغير العـزيز . ونحن نجهل ما اذا كانت هذه المصيبة قد نجمت عن نزلة رئوية أو حادث كل ما نعرفه هو انهم لم ينقلوه الى الكريملين إلا جثة هامدة. فأية مهزلة ! كان البويار قد اقاموا الف صعوبة كي لا يقسموا يمين الولاء للطفل عندما اعتقدوا أن الاب سيموت ، وها هو ذا الاب يعيش الان بينما يذهب الفتى الى مملكة الاموات .

لم يحمل الينا رواة ذلك العصر ما سببه هذا الحادث من ألم وخيبة امـل ويأس ولم يعرف أحـد مدى تأثيره إلا إذا استثنينا اناستاسيا والقيصر . وكان ذلك مثيراً للدهشة والفضول . ففي خلال حج تم تنفيذاً لنذر نذر لله قام العلي الاعلى بتوجيه ضربة جديدة لايفان واناستاسيا وروسيا ؟ ، وانضمت هذه المصيبة كغيرها من المصائب . فماذا كانت خطيئاتهما وخطيئات روسيا التي عاقبها الله هذا العقاب ؟ هل هـي خطايا أكبر بكثير من أن تكون قابلة للغفران ؟ .